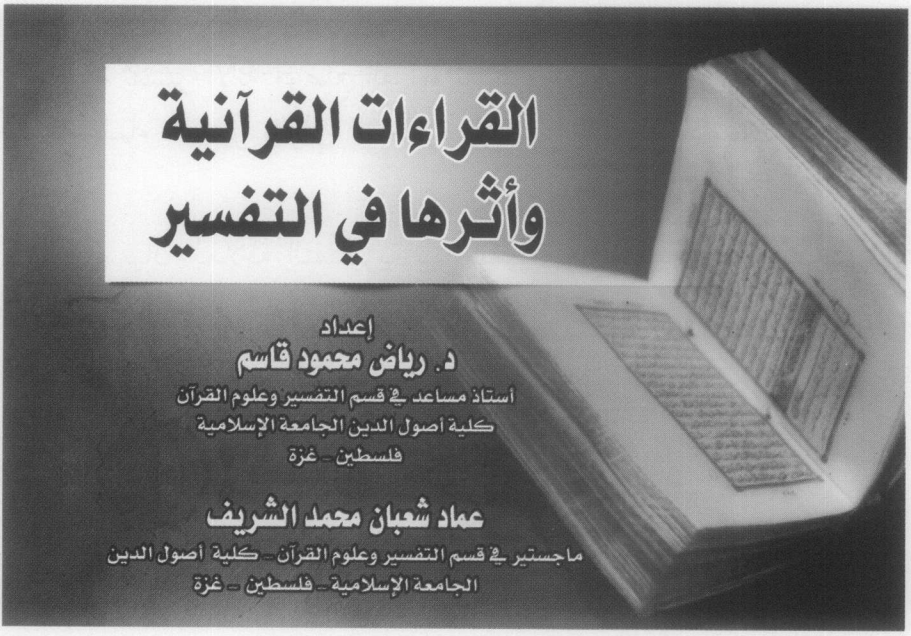

يعنى هذا البحث بالقراءات القرآنية وأثرها في التفسير من خلال الحديث عن القراءات القرآنية: تعريفها، ونشأة علم القراءات، وأسباب اختلاف القراء فيها، وأركان القراءات المقبولة، وأثر القراءات القرآنية في التفسير، وقد تضمن البحث دراسة تطبيقية على نماذج متنوعة من أوجه القراءات العشر المتواترة المختلفة حسب المعايير المعتبرة في الحكم على القراءات وبيان أثرها في التفسير، وذلك من خلال:

١ ـ عزو الآيات القرآنية مدار البحث في القرآن الكريم، وكتابتها برسم المصحف برواية حفص عن عاصم.

٢ ـ بيان القراءات المختلفة في الآية بالرجوع إلى كتب القراءات المشهورة.

٣ ـ بيان المعنى اللغوي للقراءات بالرجوع إلى كتب اللغة وقواميسها.

٤ ـ تفسير الآية موضع القراءة تفسيراً إجمالياً مع التزام الضوابط التي وضعها علماء التفسير بالرأي المحمود الجائز، مستعيناً بكتب التفسير القديمة والحديثة.

٥ ـ بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية وبيان المعاني التي أضافتها كل قراءة إلى غيرها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه ويدافع نقمه ويكافئ مزيده، ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، أنزل كتابه الكريم بالحجة الدامغة والبرهان الناصع، تبياناً لكل شيءٍ وشفاءً لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، **أما بعد:**

فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على عبده محمدٍ ﷺ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى طريق الحق والخير والرشاد وليتخذوه دستوراً ومنهج حياة، وقد أمرهم سبحانه وتعالى بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار ليتدبروا معانيه، فكان صلوات الله وسلامه عليه يبلغه للصحابة الكرام كما أنزل عليه، فيفهمونه بسليقتهم، وإذا التبس عليهم فهم آيةٍ سألوا رسول الله ﷺ عنها، كما حرص الصحابة الكرام على تلقي القرآن الكريم، مشافهةً من رسول ﷺ وحفظه وفهمه والعمل به.

وإنَّ من فضل الله تعالى أن سخَّر لكتابه العزيز من العلماء الأتقياء الأفذاذ الذين اصطفاهم الله تعالى لخدمته بالحفظ والتفسير، وتوضيح معانيه وبيان أسراره وكشف دقائقه واستخراج ما فيه من حكمٍ وأسرارٍ، وما اشتمل عليه من روائع وبيانٍ، فأفنوا أعمارهم في خدمة كتابَ الله تعالى وتتبع كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالقرآن.

وعلم القراءات القرآنية من أهم العلوم التي حظيت باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام إلى يومنا هذا،

وقد تجرد لخدمة هذا العلم عدد كبيرٌ من علماء الإسلام لتعلقه بكتاب الله تعالى وهو أحد مزاياه الذي اختصه الله تعالى به إذ أنزله على وجوه القراءات المختلفة، وتكفل بحفظه وترتيله على الوجه الذي أنزل، فجاء مُصرَّفاً على أوسع اللغات، تيسيراً للأمةِ ورفعاً للحرج عنها، وما ذاك إلا دليلاً من دلائل إعجازه وبديع نظمه، ولمَّا كان للقراءات القرآنية أثرٌ بالغٌ في استنباط المعاني، وأهمية جليلة في إبراز جانب من جوانب إعجاز كتاب الله تعالى، جاء هذا البحث ليلقي الضوء على جزءٍ من هذا الموضوع، ويكشف عن سرٍّ من أسراره، في دراسةٍ موضوعيةٍ تطبيقية. فنسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

● هدف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز أثر القراءات المختلفة في التفسير واستخراج المعاني والأحكام المتغايرة، من خلال دراسة تطبيقية لنماذج من القراءات العشر المتواترة، والتي ترجع إلى وجوه متعددة من الاختلاف.

منهج البحث: اعتمد الباحثان المنهج الاستقرائي التحليلي في هذه الدراسة.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثان وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: **القراءات**، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القراءات لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: نشأة علم القراءات وأسباب اختلاف القراء فيها.

المطلب الثالث: أركان القراءات المقبولة.

المطلب الرابع: أثر القراءات القرآنية في التفسير.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية على أوجه الاختلاف في القراءات وأثرها في التفسير.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحثان.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

القراءات

المطلب الأول

تعريف القراءات لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف القراءة لغةً:

القراءات جمع قراءةٍ، وهي مصدر الفعل قرأ، يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآناً بمعنى تلا فهو قارئٌ[1]، «وقرأ الكتاب قراءةً، وقرآناً، تتبع كلماته نظراً ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها»[2].

قال ابن منظور: «ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمِّيَ قرآناً لأنَّه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧]، أي: جمعه وقراءَتَه... وقَرَأْتُ الشيء قرآناً: جمعتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض، ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سلىً قط، وما قرأت جنيناً قط، أي: لم يَضطمَّ رَحمُها على ولدٍ»[3].

ثانياً: تعريف القراءات اصطلاحاً:

للعلماء في تعريف القراءات اصطلاحاً عدة تعريفاتٍ من أبرزها تعريف:

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ص٤٧.

(٢) المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ص٧٥٦.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٢٨/١).

١ - بدر الدين الزركشي: «القرآن هو الوحي المنزَّل على محمدٍ ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما»(١).

٢ - ابن الجزري: «القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة»(٢).

٣ - أحمد بن عبدالغني الدمياطي: «علم القراءات علمٌ يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات، والتجريد والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع»(٣).

٤ - عبدالعظيم الزرقاني: «القراءات مذهبٌ يذهب إليه إمامٌ من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في هيئاتها»(٤).

٥ - عبدالفتاح القاضي: «هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه إلى ناقله»(٥).

وبالنظر في التعريفات السابقة يظهر أنها تدور حول محور واحد، وأنَّ تعريف الإمام ابن الجزري من أخصر وأجمع وأضبط التعريفات في القراءات، حيث يقول بعد هذا التعريف: «والمقرئ العالم بها رواها مشافهةً فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه ممن شوفه به

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣١٨/١).
(٢) منجد المقرئين لابن الجزري ص٣.
(٣) إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص٦.
(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٤٠٥/١).
(٥) البدور الزاهرة لعبدالفتاح القاضي ص٥١.

مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة»[1]. ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:

١ ـ أنّ مدلول القراءات يشمل ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها.

٢ ـ أنَّ المعتمد في تلقي القراءات هو السماع والمشافهة عمَّن أخذها سماعاً ومشافهةً عن شيوخه، مسلسلاً إلى النبي ﷺ.

المطلب الثاني

نشأة علم القراءات، وأسباب اختلاف القراء فيها

الحديث عن القراءات القرآنية ونشأتها يرتبط بالمراحل الأولى التي تلقى فيها النبي ﷺ آيات القرآن الكريم ومن ثم تبليغها للصحابة رضوان الله عليهم، وكيفية تلقي الصحابة هذه الآيات من رسول الله ﷺ مشافهةً تلقياً مباشراً وبدون وساطةٍ، بما يتعلق به من حركة الفم، واللسان، والشفتين عند النطق بالحرف، وجهود الصحابة الكرام في نشر معاني هذه الآيات ومراد الله تعالى منها مع العناية بالحفاظ على نقلها للناس كما تلقوها من فمِ النبي ﷺ.

لقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ لتبيِّن كيف كان النبي ﷺ يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام وتُؤكدُ أمر تكفل الله تعالى بحفظ هذا القرآن، وتعليمه للنبي ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٨]، فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا أتاه جبريل عليه السلام، استمع له وأنصت، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبي ﷺ كما تلقَّاه من جبريل عليه

(١) منجد المقرئين لابن الجزري ص٣.

السلام، وهذا يدل على أن النبيَّ ﷺ كان يُقرئ صحابته القرآن كما تلقَّاه من جبريل عليه السلام دون زيادةٍ أو نقصانٍ أو تغييرٍ[1].

وعلى الطريقة ذاتها سار الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين يعلمون النَّاس قراءة القرآن وأحكامه، وهكذا تلقى المسلمون القرآن، خلفاً عن سلفٍ، وأخذوه ثقةً عن ثقةٍ، حتى ينتهي الأمر إلى الصحابة الكرام، ثم إلى الرسول ﷺ، فالمبدأ الأساس في نقل القرآن هو المشافهة، والتلقي، بأن يجلس المتعلم أمام المقرئ المعلم أو يسمع منه كيفية النطق بكلمات القرآن، ويرى حركة فمه، ولسانه وشفتيه، عندما ينطق بها، ويتلقى ذلك منه تلقياً مباشراً، ثم يقرأ القرآن عليه، ليُجَود ويُصَحح ويُحسن قراءته وترتيله.

ومن رحمة الله تعالى بالأمَّة الإسلامية، وتوسعةً عليهم، ورفعاً للحرج عنهم أنزل القرآن على نبيِّه على سبعة أحرفٍ وبها أقرأ صحابته، وأقرأ كل قبيلةٍ بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، مراعياً بذلك لهجاتهم في النطق واللفظ، فقومٌ جرت عاداتهم بالهمز، وقومٌ بالتخفيف، وقومٌ بالفتح، وقومٌ بالإمالة، وكذلك اختلافهم في الإعراب وغيره، ولأجل هذا أباح الله تعالى لنبيِّه أن يُيَسِّرَ على النَّاس، ويقرئَ كلَّ قبيلةٍ بما يَتَيَسَّر عليها، ويدل على ذلك أحاديثٌ كثيرةٌ منها: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرفٍ**»[2].

---

(١) انظر: الاختلاف في القراءات القرآنية وأثرها في اتساع المعاني للدكتور إياد السامرائي، الشبكة الإلكترونية ص١ ـ ٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤)، ح ٤٧٠٥، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦١/١)، رقم (٨١٩).

فكان كل صحابي يقرأ على الحرف الذي علَّمه إياه رسول الله ﷺ وكلَّما وقع اختلافٌ بين الصحابة في القراءة كانوا يحتكمون إلى النبي ﷺ فيفصل بينهم ويُقرُّ كلاً على قراءته بقوله: «**إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسَّر منه**»(١). ثم تفرَّق الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان، وصار كلُّ واحدٍ منهم يعلم أهل البلد القراءة التي تلقَّاها عن رسول الله ﷺ بما فيها من اختلافٍ في بعض كيفياتها عن قراءة الصحابي الآخر في بلدٍ آخر، فاختلف أخذ التابعين عن الصحابة، كما اختلف أخذ أتباع التابعين عن شيوخهم، وهكذا حتى وصل الأمر إلى القراء المشهورين الذين انقطعوا للقراءات والإقراء واعتنوا بها، وضبطوها وكرَّسوا حياتهم لأجلها، واختار كلُ واحدٍ منهم من القراءات الكثيرة قراءةً لزمَ القراءة والإقراء بها، وظلَّ المسلمون يقرؤون القرآن على عددٍ كبيرٍ من القراء إلى أنْ بدأ العلماء في تصنيف القراءات فذكر بعضهم خمسة عشرَ رجلاً، وبعضهم ذكر اثنين وعشرين رجلاً، وبعضهم ذكر أقل من ذلك إلى أن جاء ابن مُجاهدٍ في بداية القرن الرابع الهجري، فأحَبَّ أن يجمع المشهور من قراءات الأمصار فاختار السبعة(٢)، وهؤلاء السبعة هم ممن اشتهرت إمامتهم، وطال عمرهم في الإقراء، وارتحل الناس إليهم، ثم تابعه الناس على اقتصاره على هؤلاء السبعة، ثم ألحق المحققون بهؤلاء السبعة ثلاثةً آخرين، وهم: يعقوب الحضرمي، وخلف، وأبو جعفر بن قعقاع المدني(٣)، وأصبحت القراءات المتواترة على رأي العلماء عشر قراءات، وذكر ابن الجزري أنَّ القراءات العشر لم ينكرها أحدٌ من الأئمة، وأثبت

---

(١) صحيح البخاري كتاب، فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤)، ح ٤٧٠٦، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (٥٦٠/١)، رقم (٨١٨).

(٢) انظر: منجد المقرئين ص٢٠ ـ ٢٢، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن عتر ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٣) انظر: البرهان (٣٣٠/١).

تواترها بذكر طبقات رواتها[1]. وبهذا أصبحت القراءات العشر هي القراءات المتداولة والمشهورة بين الناس، وأمَّا غير ذلك من القراءات فتعتبر شاذة، ولا يعتد بها.

وبناءً على ما تقدم يتضح أنَّ الاختلاف في القراءات القرآنية وتعددها كان بسبب الأحرف السبعة التي أنزل الله تعالى القرآن عليها وأمر نبيَّه بأن يقرئ كل قبيلة بلغتها تيسيراً عليهم ورفعاً للحرج عنهم، وأنَّ هذا الاختلاف الحاصل في القراءات القرآنية كان فيما يحتمله خط المصحف ورسمه، وما كان كتابة المصاحف في عهد عثمان ﷺ غير مشكولةٍ ولا منقوطةٍ إلا لتشمل تلك القراءات، وهذه القراءات العشر المنقولة عن الأئمة العشرة المتواترة إلى النبي ﷺ لا تخرج عن الأحرف السبعة.

المطلب الثالث

أركان القراءة المقبولة

لقد مرَّت القراءات القرآنية بمراحل متعددةٍ، بدءاً من حياة النبي ﷺ عندما أنزل الله تعالى عليه القرآن على سبعة أحرف، ليقرئ كل قبيلةٍ على حرفها ولغتها تيسيراً عليهم، ثم نقل الصحابة رضوان الله عليهم وجوه القراءات التي تلقوها من النبي ﷺ إلى جمهور المسلمين، بعد حفظها وضبطها، ومن ثمَّ تلقَّاها عنهم التابعون الذين بذلوا الجهود المضنية في حفظها وضبطها، وتعليمها للنَّاس، واستمر الأمر على هذا الحال، كلُّ جيلٍ يسلِّمُ القراءة لمن بعده كما قرأها وتعلمها، حتى كثر عدد القرَّاء في البلاد والأمصار، واختار كلُّ إمامٍ من أئمة القراءات قراءةً ألزم نفسه بها، وأقرأ

(١) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٤٠).

غيره بها، واختار المسلمون أئمةً ثقاتاً اشتهروا بالعدالة والضبط، وتجردوا للقراءة والإقراء، وأفنوا أعمارهم في خدمته، ليجمعوا قراءتهم عليه، ثمَّ كثر القرَّاء بعد ذلك، وتفرقوا في البلاد والأمصار، وانتشروا في كلِّ ميدانٍ، وخلفهم أُمَمٌ بعد أمم، اختلفت صفاتهم، وتعددت رواياتهم، وكثر الاختلاف بينهم، وكاد يلتبس الباطلُ بالحقِّ، فتصدى جهابذة علماء الأمة، للقراءات فمحصوها وميزوا سقيمها وعليلها من صحيحها وسليمها، ثم وضعوا لذلك ضوابط معيَّنةً للحكم على القراءات بالقبول، أو الرَّدِّ، وتمييز الصحيح من الشاذ[1]، فقسَّم العلماء القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين هما: القراءة المقبولة، والقراءة الشاذة.

وأمَّا القراءة المقبولة، فهي القراءة التي توافرت فيها ثلاثة أركانٍ، ويعبِّر عنها ابن الجزري: بقوله: «كل قراءةٍ وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحلُّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النَّاس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفةٌ أو شاذةٌ أو باطلةٌ سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة السلف والخلف»[2].

ومن خلال كلام ابن الجزري نلحظ أنَّه حصر ضابط القراءة في ثلاثة شروط يتوقف على توفرها جميعاً في القراءة قبولها، أو ردّها إذا اختلَّ شرطٌ من هذه الشروط وهي:

١ ـ موافقة العربية ولو بوجهٍ.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٩/١)، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص٣١٧، مناهل العرفان (٤١١/١).

(٢) النشر في القراءات العشر (٩/١).

٢ ـ موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣ ـ صحة السند.

● **تفصيل الضابط:**

١. **موافقة العربية ولو بوجه**: أي: أن تكون القراءة موافقةً لوجهٍ من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة ممَّا شاع وذاع، وتلقَّاه الأئمة بالإسناد الصحيح، ولا يعتد بإنكار أهل النحو لقراءةٍ أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها[١].

٢. **موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً**: يكفي لتحقق هذا الشرط أن تكون القراءة ثابتة في بعض المصاحف العثمانية دون بعض، ولا يشترط أن تكون الموافقة صريحة، بل يكفي أن توافقها تقديراً إذ يحتملها الخط احتمالاً[٢].

٣. **صحة السند**: أي: أن يروي تلك القراءة، العدل الضابط عن مثله وكذا حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذٍ ولا علَّةٍ ويشترط في هذه القراءة أن تحظى بثقة أئمة القراءات الضابطين بحيث تكون مشهورةً لديهم متلقاةً بالقبول[٣]. وكان ابن الجزري في كتابه منجد المقرئين قد اشترط التواتر لصحة القراءة[٤]، إلاَّ أنَّه عدل عن هذا الشرط إلى اشتراط صحة السند مع كون القراءة مشهورة متلقاة لدى أئمة القراءات بالقبول.

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/١٠).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/١١).
(٣) انظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص٣٢٠.
(٤) انظر: منجد المقرئين ص١٥ ـ ١٦.

المطلب الرابع

أثر القراءات القرآنية في التفسير

إنَّ لتعدد القراءات القرآنية واختلافها فوائد جليلةً وآثاراً بالغةً في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ولكن من غير تناقضٍ في المعاني أو تباينٍ بينها، فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، وفي ذلك يقول ابن الجزري: «وأمَّا حقيقة اختلاف هذه السبعة أحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ وفائدته، فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، فإنَّ هذا محالٌ أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]»[1].

لا شك أنَّ القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذ إنَّ كلَّ قراءةٍ بمنزلة الآية، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات من غير تناقضٍ ولا تضادٍ بينها في المعاني، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد، وفي هذا يقول الشيخ الزرقاني: «إن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أنَّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً ويشهد بعضه لبعضٍ، على نمطٍ واحدٍ في علو الأسلوب والتعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموِّ الهداية والتعليم، وذلك من

(١) النشر في القراءات العشر (١/٤٩).

غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف»[1].

ومن خلال ما سبق يتضح ما للقراءات من أثرٍ بالغٍ في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، إذ إنَّ كلَّ قراءة توضح وتبين معنًى جديداً لم تبينه القراءة السابقة، وقد أرجع العلماء اختلاف القراءات القرآنية إلى سببين:

الأول: ما كان سببه يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، والذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرفٍ تيسيراً على الناس ورفعاً للحرج عنهم، وذلك كالاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والفتح، ونحو ذلك.

الثاني: ما كان سببه يرجع إلى خاصيةٍ في القرآن نفسه وهو الإعجاز، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو إلى صيغة التكلم[2].

قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: «أرى أنَّ للقراءات حالتين: إحداهما: لا تعلق لها بالتفسير بحالٍ، والثانية: لها تعلقٌ به من جهاتٍ متفاوتةٍ.

أمَّا الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل، والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة. مثل عذابِيْ بسكون الياء، وعذابيَ بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب مثل: (حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بفتح لام (يقول) وضمها... ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنَّها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن

(١) مناهل العرفان (١٤/١)، وانظر: النشر في القراءات العشر (٥٢/٢).

(٢) انظر: منهج الإمام الطبري في القراءات، رسالة ماجستير للدكتور عبدالرحمٰن الجمل ص٩٧.

قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرضٌ مهمٌ جداً لكنَّه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي[1].

وأمَّا الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، و﴿نُنشِزُهَا﴾، ﴿نُنشِرُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، و﴿ظَنُّوا أَنَّهُم قد كُذِبوا﴾ بتشديد الذال، أو ﴿قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠] بتخفيفه، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧] قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى: يصِدُّون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى: صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصلٌ منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلقٍ بالتفسير، لأنَّ ثبوت أحد اللفظين في قراءةٍ قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنًى غيره، ولأنَّ اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو ﴿حتى يطَّهَّرْن﴾، ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطاء، وضم الهاء مخففة، ونحو: ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ و﴿لَمَسْتُم النِّسَاء﴾ [النساء: ٤٣]، والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيراً للمعاني... وأنا أرى أن على المفسر أن يبيِّن اختلاف القراءات المتواترة لأنَّ في اختلافها توفير معاني الآية غالباً، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن»[2].

وقال ابن الجزري: (وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

---

(١) بعض العلماء أشار إلى معاني تؤخذ من هذا النوع من اختلاف القراءات، وهذا ما تبيَّن أثناء البحث.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد ١ (٥١/١ ـ ٥٦).

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأمَّا الأول: فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغاتٌ فقط.

وأمَّا الثاني: فنحو (مَالِكِ، وَمَلِكِ) في الفاتحة لأنَّ المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا (يَكذِبون، ويُكَذِّبون) لأنَّ المراد بهما هم المنافقون...

وأمَّا الثالث: فنحو: (وظنُّوا أنَّهم قد كُذِّبُوا) بالتشديد والتخفيف... فأمَّا وجه تشديد (كَذَّبُوا) فالمعنى وتيقن الرسل أنَّ قومهم قد كذَّبوهم، ووجه التخفيف، توهم المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم»[1].

ومن خلال ما سبق يتضح تقسيم العلماء للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها أثرٌ في التفسير:

كاختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿مَلِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وكاختلافهم في الحركات التي يختلف معها معنى الفعل مثل: ﴿يَصِدُّونَ﴾ و﴿يصُدُّون﴾، فهذا الاختلاف في القراءات له أثرٌ في التفسير وإضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وهذا القسم على نوعين:

١ ـ ما اختلف لفظه ومعناه مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.

---

(١) النشر في القراءات العشر (١/٥٠).

٢ ـ ما اختلف لفظه ومعناه مع عدم جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ بل يتفقان من وجهٍ آخر لا يقتضي التضاد.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ ليس لها أثرٌ في التفسير:

كاختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، وكمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة والإخفاء، فهذا الاختلاف في القراءات على رأيهم ليس له أثرٌ في إضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وإنَّما هي للتيسير ورفع الحرج عن الأمة، وهذا القسم على نوعين:

١ ـ ما اختلف لفظه واتحد معناه.

٢ ـ ما اتحد لفظه ومعناه ممَّا يتنوع صفة النطق به.

وبالنظر إلى التقسيم الذي ذكره العلماء يُلاحظ أنَّهم جعلوا قسماً من القراءات القرآنية ليس له علاقة بالتفسير لاتحاد المعنى، ونسبوه إلى اختلاف اللغات، أو اختلاف وجوه النطق بالحروف والحركات، أو تعدد وجوه الإعراب، ولكن من خلال الدراسة التطبيقية للقراءات القرآنية وأثرها في التفسير ظهرت بعض الفروق الدقيقة في المعنى بين القراءات التي عزاها المفسرون إلى هذا النوع من اختلاف القراءات، وسيأتي ذكر الشواهد على ذلك أثناء البحث.

وبناءً على ما سبق فلا يمكن أن نجزم بعدم وجود أثرٍ في التفسير لمثل هذا النوع من اختلاف القراءات، فبمزيدٍ من البحث والتنقيب في معاني القراءات ومدلولاتها قد يتوصل الباحثون إلى فروق في المعاني بين هذه القراءات يكون لها أثرٌ بالغٌ في تفسير كتاب الله تعالى، ولذلك يقترح الباحثان تقسيماً آخر للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها علاقة بالتفسير، وهو على نوعين:

١ ـ ما له علاقة واضحةٌ وجليةٌ بالتفسير.

٢ ـ ما له علاقة خفية غير واضحةٌ بالتفسير يمكن التوصل إليها بالبحث والدراسة.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ لا يظهر لها علاقة بالتفسير، ولكن لا نجزم بعدم وجود أثرٍ لها في التفسير فقد يتوصل الباحثون مستقبلاً إلى وجود بعض الفروق في المعاني بين هذه القراءات المختلفة.

المبحث الثاني:

نماذج تطبيقيةٌ على أوجه الاختلاف في القراءات وأثرها في التفسير

لقد تعددت أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية لتتسع المعاني في الآية القرآنية ولتتحقق مقاصد الله تعالى من إرادة أكثر من معنًى في الآية الواحدة، أو إضافة دلالاتٍ أخرى في السياق القرآني موضع القراءة القرآنية لا تتحقق إلاَّ بها، وسيقتصر الباحثان في هذا المقام على ذكر نماذج تطبيقية من القراءات المتواترة لوجوه متعددة من أوجه اختلاف القراءات على سبيل الاستشهاد بها لا على سبيل الحصر.

❑ أولاً: اختلاف القراءات بالإثبات والحذف:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ: ﴿بِمَا كَسَبت﴾ بغير فاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ بالفاء[1].

(١) انظر: المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر الأصبهاني ص٢٤٣، تجبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري ص٢٠٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

«الكسب: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع، وتحصيل حظٍ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة، ثم استجلب به مضرَّة، والكسب يقال: فيما أخذه لنفسه ولغيره»[1].

التفسير:

في هذه الآية الكريمة ينبِّه الله تعالى الناس إلى أن ما أصابهم من مصائب في النفس أو الأهل أو المال، وما أصابهم من بؤس وشقاء إلا بسبب معاصيهم التي اكتسبوها وأصابوها بأيديهم، على الرغم من أنَّ الله تعالى برحمته يتجاوز عن كثيرٍ من الذنوب فلا يعاقبهم عليها.

«ويظهر والله أعلم أن الذنوب نوعان، نوعٌ يعذب الله صاحبه في الدنيا لأنه هيِّن بسيطٌ فيصيبه بسببه مرضٌ أو ألمٌ، ونوع عذابه شديد فهو في الآخرة فقط، وإذا أحب الله عبداً عجَّل له العقوبة في الدنيا، وإذا كرهه لسوء عمله تركه يقترف من السيئات ما شاء، ثم يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ لحسابٍ عسيرٍ وعذابٍ شديدٍ، وقد ينال الإنسان منا بعض الألم تكفيراً له عن ذنوب أو زيادةً له في الثواب، والله يعفو عن كثير من الذنوب عفواً مع القدرة الكاملة»[2]، فلا يعاقبهم عليها.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿بما كسبت﴾ الإخبار من الله تعالى عن سبب المصائب التي تقع على الناس على سبيل الجواز والعموم بدون تعيين السبب، و(ما) في (ما أصابكم) بمعنى: الذي، وهي مبتدأ وخبره (بما كسبت أيديكم)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٧١٠.

(٢) التفسير الواضح لمحمد حجازي مجلد ٣ (٢٤/٢٥)، انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٢/٨).

ولا تتضمن معنى الشرط، فالمعنى: والذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم[1]، لأنَّ ما الشرطية تدل على التسبب، أما الموصولية فتدل على الإيماء إلى جملة الخبر على الجواز، فقد يراد به واحدٌ بعينه أو غيره بالقرينة.

وأمَّا قراءة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ فقد أخبرت عن سبب المصائب التي أصابتهم على وجه التعيين، فتكون ما شرطية أو متضمنة معنى الشرط، والفاء رابطة لجواب الشرط (بما كسبت أيديكم) ويكون وقوع فعل الشرط ماضياً للدلالة على التحقق[2]، «والمعنى: ما تصبكم من مصيبةٍ فبما كسبت أيديكم»[3].

الجمع بين القراءات:

بين القراءتين اتحادٌ في المعنى مع وضوح السبب وتعينه في القراءة الثانية ﴿فَبِمَا﴾ عن القراءة الأولى ﴿بما﴾، فالقراءة الثانية مبيِّنة ومخصصة للقراءة الأولى، بتعين سبب المصائب وهي أعمالهم التي ارتكبوها.

وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: أنَّ ما أصاب الناس من مصيبة فمنه ما هو بسبب معاصيهم وأعمالهم فيجازون عليها في الدنيا، أو في الدنيا والآخرة، وهذا في حق المشركين والعصاة من المسلمين، ومنه ما هو بسببٍ آخر غير ذلك لخيرٍ أراده الله تعالى لهذا المصاب، ولأجل تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه، وهذا في حق المؤمنين، قال البيضاوي: «والآية مخصوصةٌ بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم فلأسبابٍ أخر، منها: تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه»[4]. فالقراءة الثانية تخص المجرمين فقط، وأما القراءة الأولى فالآية تعمُّ جميع الناس مؤمنين وكافرين، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: حجة القراءات لابن زنجلة ص٤٦٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد ١٢ (٢٥/٩٩).

(٣) معاني القراءات لأبي منصور الأزهري (٢/٣٥٦).

(٤) تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين البيضاوي (٥/١٣١).

٢ ـ قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٧].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفرٍ: ﴿فَكِهِين﴾ بحذف الألف بعد الفاء.

٢. قرأ الباقون: ﴿فاكِهِين﴾ بإثبات الألف بعد الفاء[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الفاكِه: الذي كثرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض النَّاس، والفَكِه: الأشِر البَطِر، وقرئ: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِين﴾ أي: أشرين، وفاكهين، أي: ناعمين[٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومُه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهةٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ولكنَّهم كانوا بطِرين مستَخِفِّين مستهزئين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئاً[٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿فَكِهِينَ﴾ بالألف بعد الياء أنَّ فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعةٍ ومتعددةٍ وكانوا متنعِّمين طيبي الأنفس.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٩، البدور الزاهرة ص٤٠٥.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/٥٢٣).

(٣) انظر: التفسير الواضح (٣/٦٥).

وأمَّا قراءة ﴿فكِهين﴾ فقد أفادت أنَّهم كانوا يعيشون في نعمٍ كثيرةٍ ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخِفِّين مستهزئين بشكرها[1].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشةٍ هنيةٍ ويستمتعون بأنواع اللّذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

٣ ـ قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر: ٥٦].

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر ﴿يَا حَسْرَتايَ﴾ بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلافٍ عنه.

٢. قرأ الباقون ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ بغير ياء[2].

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة: «الغم على ما فاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه»[3]. وقال ابن منظور: «والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه، ومن ذلك:

---

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٣٦/٨)، اللباب لابن عادل (٣٢٢/١٧).

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٦٦٣/٢)، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص١٩٧.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٥.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] أي: حسرةً وندماً»[١].

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته وتفريطه في أوامر الله تعالى وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذيرٌ لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه بعد أن بيَّن لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشدَّ الندم يوم القيامة[٢].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿يا حَسْرَتايَ﴾ بالياء بعد الألف المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال البقاعي: «ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر: ﴿يا حَسْرَتايَ﴾ بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم»[٣]، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرةً بعد حسرةٍ، وربما تفيد تثنية الحسرة، قال أبو حيان: «قرأ الجمهور ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ﴾، بإبدال ياء المتكلم ألفاً، وأبو جعفر: ﴿يا حسرتاي﴾، بياء الإضافة، وعنه: ﴿يا حسرتايْ﴾ بالألف والياء جمعاً بين العوض والمعوض، والياء مفتوحةٌ أو ساكنةٌ، وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه

(١) لسان العرب (٤/١٩٠).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري مجلد ١١ (١٤/٢٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٢/٤).

(٣) نظم الدرر للبقاعي (٤٦٣/٦).

(كتاب اللوامح): ولو ذهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل: لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لبٌ بعد لبٍ وسعدٌ بعد سعدٍ، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرةٍ، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار»[١].

وقال ابن عاشور: «وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول (على)، و(ما) في ﴿مَا فَرَّطتُ﴾ مصدرية، أي: على تفريطي في جنب الله»[٢].

وأمَّا قراءة ﴿يَحَسْرَتَىٰ﴾ بالألف بدل ﴿يا حَسْرَتِي﴾[٣] وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والاستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الاستغاثة ألفاً فتقول: يا ويلتا ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء[٤].

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يا حَسْرَتِي﴾ بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة ﴿يا حَسْرَتَا﴾ بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدَّة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: ﴿يا حَسْرَتَاي﴾ فقد أضافت معنىً آخرَ بالإضافة إلى المبالغة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرةً بعد حسرةٍ يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فاته، فيتحسر

(١) البحر المحيط (٤١/٧).
(٢) التحرير والتنوير مجلد ١١ (٤٥/٢٤ ـ ٤٦).
(٣) هذه قراءة الحسن وهي شاذةٌ، واستُشهِدَ بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب.
(٤) انظر: جامع البيان مجلد ١١ (١٣/٢٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٣٠/٨).

على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على ما فاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى... وفي ذلك أيضاً دلالةٌ على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

ثانياً: اختلاف القراءات بالإبدال:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان[١]، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.

٢ ـ قرأ الباقون[٢]: ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ بالباء وألفٍ بعدها، ورفع الدال، جمع عبد[٣].

المعنى اللغوي للقراءات:

العبدُ: هو الإنسان حرًا أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه جل وعز، ويقال: فلانٌ عبدٌ بيِّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[٤]. يقال: «عبَد الَّله، عبادةً، وعبوديَّةً: انقاد له وخضع وذَلَّ. ويقال: عبَّدَه: ذلَّله»[٥].

---

(١) المدنيان، نافع ويزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني.
(٢) الباقون، باقي القراء العشرة.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٦٩).
(٤) انظر: لسان العرب (٢/٢٧١).
(٥) المعجم الوسيط ص٦٠٨.

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً لآية سابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: «لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً، فمن قال لهم: إنَّ الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنَّهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إنَّ هذا الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجَّلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء»[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿عِندَ الرَّحْمَٰنِ﴾ على الظرفية تدل على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله ﷻ كما قال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: ١٧٢]، والقرب قرب كرامةٍ وليس قرب المسافة، فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم[2]. ففي هذه القراءة دلالةٌ على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وأمَّا قراءة ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ على أنها جمع عبدٍ، فيها إخبارٌ أنَّ الملائكة عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهذه القراءة تكذيب للكفار في ادعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ بنات الله، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الصافات: ١٥٠]، وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى[3].

---

(١) المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد محيسن (٣/٥٩).

(٢) تفسير المراغي مجلد ٩ (٢٥/٧٨).

(٣) انظر: الحجة في القراءات السبع ص٣٢٠، حجة القراءات ص٦٤٧.

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تعطيان وصفاً دقيقاً للملائكة، أنهم عباد الرحمٰن تشريفاً لهم، وتنزيهاً عن أن يكونوا أبناء الله، وأنَّهم في منزلةٍ قريبةٍ ودرجةٍ عاليةٍ عند الله تعالى، دلالةً على إخلاصهم في الطاعة والعبودية، وقد جمع الله تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦][1]، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بناتٍ على القراءة الأولى ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وإذا كانوا عند الرحمٰن في منزلةٍ عاليةٍ وهم في السماء كيف علموا بحالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بحالهم[2] على القراءة الثانية: ﴿عِنْد الرحمٰن﴾.

ثالثاً: اختلاف القراءات بأسلوب الخطاب:

قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٩].

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان وابن عامرٍ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمون﴾ بتاء الخطاب.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بياء الغيب[3].

المعنى اللغوي للقراءات:

العلم: نقيض الجهل، وعَلِمْتُ الشيء، أي: عرفتُه[4]. وقال الأصفهاني: العلم: إدراك الشيء بحقيقته وذلك ضربان:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي (٥/٤٩).

(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٣/٢٠٥).

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٧٠)، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٤) انظر: لسان العرب (٢٥/٤١٧).

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيءٍ هو منفيٌ عنه(١).

التفسير:

بعد أن أخبر الله تعالى عن علمه بشكوى رسول الله ﷺ قومَه إليه بسبب كفرهم وإصرارهم على عداوته، أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالإعراض عنهم، ونبذ إشراكهم قائلاً: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾، أي: اصفح عن المشركين صفح المغاضب لا الموافق المجامل، وأعرض عمَّا يقولون، وما يرمونك به من السِّحر والكَهَانة، واصبر على دعوتهم إلى أنْ يأتي أمرُ الله، وقل: أمري معكم مسالمةٌ ومتاركةٌ إلى حين، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم، وهذا تهديدٌ شديدٌ ووعيدٌ أكيدٌ من الله لهم، ووعدٌ ضمنيٌ بنصر الإسلام والمسلمين عليهم(٢).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بتاء الخطاب على رأي أهل التفسير أنَّ الخطاب موجهٌ إلى سيدنا محمدٍ ﷺ، ليقول ذلك للمشركين على معنى قل لهم يا محمد: (سَلامٌ فَسَوَفَ تَعْلَمُونَ)(٣).

وفي قراءة: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ بالخطاب مبالغةٌ وشدةٌ في التهديد والوعيد لكفار قريشٍ لأنَّ التهديد بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على تناهي الغضب وشدته(٤).

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٥٨٠.

(٢) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩٨/٢٥).

(٣) انظر: جامع البيان مجلد ١٠ (٦٣/٢٥)، الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢٦٣/٢).

(٤) انظر: نظم الدرر للبقاعي (٦/٧).

وأمَّا قراءة: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب فإنَّها تفيد الإخبار من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بأنهم سوف يعلمون يوم يلاقون العذاب، عاقبة إجرامهم وكفرهم، وفي هذه القراءة تهديدٌ ووعيدٌ أيضاً للكافرين(١)، ووعدٌ من الله لرسوله ﷺ بأنه منتقمٌ من المكذبين(٢).

الجمع بين القراءات:

كلتا القراءتين تفيدان ثبوت التهديد والوعيد لكفَّار قريش، إلاَّ أنَّ قراءة ﴿تعلمون﴾ بالخطاب أشدُّ تهديداً وأبلغ في التهويل من قراءة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بالغيب، لأنَّ العتاب بالمواجهة أشد تأثيراً وأدلُّ على شدة الغضب(٣). وبالجمع بين القراءتين يكون المعنى: قل يا محمد لكفار قريش تهديداً لهم إنَّكم سوف تعلمون يوم القيامة عاقبة جرمكم وكفركم عندما تلاقون أشد العذاب كما سيعلم غَيْرُهم من الكفَّار والظالمين عاقبة ظلمهم وكفرهم يوم القيامة.

❑ رابعاً: اختلاف القراءات بالبناء للفاعل والمفعول:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢١].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.

---

(١) انظر: جامع البيان مجلد ١١ (٦٣/٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤٣٠/٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٧٤/٢٥).

(٣) انظر: حاشية القونوي لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (٣٦٢/١٧)، عند تفسيره للآية (٨٥) من هذه السورة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، وقوله: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا[٢].

التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهدٍ عظيم من مشاهد يوم القيامة ـ يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهم الله تعالى للحساب ـ لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائم وآثام، فيسألون بتعجبٍ واستغرابٍ جوارحهم وأعضاءهم ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أنَّ الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيءٍ[٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، قال الألوسي: «يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفاً من كلامه ﷻ، والأول أظهر»[٤]، «والمعنى: أنَّ من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم، ورجعكم إليه»[٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسراً وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ

---

(١) انظر: الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش ص٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٩.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢، لسان العرب (١١٤/٨).

(٣) انظر: جامع البيان (٦٨/٢١).

(٤) روح المعاني للألوسي (١١٦/٢٤).

(٥) فتح القدير للشوكاني (٧١٨/٤).

خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى. وأمَّا قراءة ﴿تَرْجِعون﴾ على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: «والقراءة الأولى ـ قراءة الضم ـ على اعتبار أنّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية ـ قراءة الفتح ـ باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر»[1]. هذا على اعتبار أنَّ الكلام في قوله: ﴿وإليه تُرْجَعُون﴾ من تتمة كلام الجلود. وأمَّا على معنى أن الكلام مستأنفٌ من كلام الله تعالى فربما تفيد معنىً آخر، وهو أنَّ قراءة: ﴿تَرْجِعُون﴾ بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى ﴿تُرْجَعُونَ﴾ على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنَّهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإجبار[2].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع.

٢ ـ قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾ [محمد: ٤].

القراءات:

١ ـ قرأ حفصٌ وأبو عمرٍو، ويعقوب ﴿قُتِلُوا۟﴾ بضم القاف وكسر التاء.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١ (٣٧٧/١) عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي (٢٣١/١)، عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿قَاتَلُوا﴾ بالألف وفتح التاء[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْلِ: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبِرَ بفعل المُتَوَلِّي لذلك يُقال: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوت الحياةِ يُقال: مَوْتٌ. والمُقَاتَلَة: المحاربة وتحرِّي القَتْل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وهي على صيغة المفاعلة[٢] التي تعني المشاركة بين طرفي الفعل.

التفسير:

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين بجهاد الكافرين، مع بذل الجهد في قتلهم لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكةٌ، ولا قوةٌ في الأرض ليكونوا أذلةً صاغرين أمام عزة المؤمنين، كما ويرشدهم سبحانه وتعالى إلى كيفية التعامل معهم في المعارك والحروب وذلك بضَربِ رِقابِ الكافرين في القتال حتى يهزموهم ويكثروا فيهم القتل والجراحات، ولم تبق لهم قوةٌ فيأسروهم ويشدوا عليهم الحبلَ، وبعد ذلك إمَّا أنْ يمُنُّوا عليهم ويطلقوا سراحهم، وإمَّا أن يطلقوهم نظير فديةٍ[٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿قُتِلُوا۟﴾ بضم القاف وكسر التاء بدون ألفٍ: أن الله تعالى وعد الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى على أيدي الكفار، بأنَّهم لن يُذْهِبَ عملهم وسيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة، قال مكي بن

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ص٣٧٤، المبسوط في القراءات العشر ص٢٥٠.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٠.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٧٦/٤).

أبي طالب: «وفي هذه القراءة قوةٌ وزيادة معنًى، وذلك أنَّ من قُتِل في سبيل الله لم يقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله تعالى ثم القتل، فكان من قُتِل في قتال في سبيل الله، فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِلَ»[1].

وأمَّا قراءة: ﴿قاتلوا﴾ بالألف، وفتح التاء، فإنَّها تفيدُ أنَّ وَعْدَ الله تعالى عامٌّ لجميع من قاتل في سبيل الله تعالى سواءً قُتِلَ أو لم يُقْتَل، قال ابن زنجلة: «وقرأ الباقون: ﴿قاتَلُوا﴾ وحجتهم أن ﴿قاتَلُوا﴾ أعمُّ ثواباً وأبلغ للممدوح في المجاهدين في سبيل الله، لأنَّه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله، وإن لم يُقْتَل ولم يَقْتُل كان أعمَّ من أن يكون ذلك الوَعْدُ منه لمن قُتِلَ دون من قاتل»[2].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى وَعَدَ جميع من قاتل في سبيله سبحانه وتعالى سواء قُتِلوا أو لم يُقتَلوا بأنَّه لن يُضَيِّع أعمالهم ولن يهلكها بل يجازيهم عليها في الآخرة، قال البقاعي: «وفي قراءة البصريين، وحفص ﴿قُتِلُوا﴾ وهي أكثر ترغيباً، والأولى: ﴿قاتلوا﴾ أعظم ترجيةً»[3].

❑ خامساً: اختلاف القراءات بالإفراد والتثنية والجمع:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [الزخرف: ٣٧، ٣٨].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٧٦).

(٢) حجة القراءات ص٦٦٦، انظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن الفارسي (٣/٤٠٢).

(٣) نظم الدرر (٧/١٥٣).

القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر ﴿جاءانا﴾ بألف بعد الهمزة على التثنية.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿جَآءَنَا﴾ بغير ألف على المفرد[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء: بمعنى أتى، يقال: جاءَ يَجِيءُ جَيْئاً، وجَيْئَة، ومَجِيئاً، ويقال: جاء بالشيء: أتى به[٢].

التفسير:

هاتان الآيتان استكمالٌ لآية سابقة، يُبَيِّنُ اللهُ جل جلاله فيهما أن الشياطين الذين يتسلطون على الكفار يصدونهم عن سبيل الهدى، ومن جهل هؤلاء الكفار يحسبون أنَّ الشياطين مهتدون فيطيعونهم، ولا يزال الشيطان يُغري أتباعه، فإذا ما جاء يوم القيامة وبعث الله كل عاصٍ وشيطانه عندئذٍ يرى العصاة ما كانوا عليه من الضلال، فيقول كلٌّ منهم حسرةً وندامةً لشيطانه: يا ليت الدنيا فرَّقت بيني وبينك، وباعدت بيننا بعد المشرقين، فبئس الصاحب أنت، لقد جلبت عليَّ الويلات، وأوقعتني في تلك المصائب والنكبات[٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة: ﴿جاءانا﴾ على التثنية، الإخبار عن الكافر وشيطانه المصاحب له بالمجيء إلى المحشر يوم القيامة.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٦٩).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص٣٦، المعجم الوسيط ص١٧٠.

(٣) انظر: التفسير الواضح مجلد ٣ (٢٥/٤٥)، المستنير في تخريج القراءات المتواترة للدكتور محمد محيسن (٣/٦٢).

وأمَّا قراءة ﴿جَآءَنَا﴾ على التوحيد أفادت الإخبار عن الكافر وحده بالمجيء إلى المحشر[1]. وفي كلتا القراءتين يقول العاشي أي: (الكافر) لقرينه الشيطان ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ أي: قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك ولم أغتر بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم، حيث إنهما يكونان مشدودين في سلسلةٍ واحدةٍ زيادةَ عقوبةٍ وَغَمٍّ[2].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتَبيَّن أنَّ كلًّا من الكافر وقرينه الشيطان الذي أغواه سيحشران معاً في عذابٍ واحدٍ يوم القيامة، فقراءة ﴿جَآءَنَا﴾ بالإفراد أوضحت أن الكافر يجيء يوم القيامة إلى المحشر، ولا تصرح بمجيء الشيطان معه، ولكنَّه يُفهم ضمنيًّا من قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾، وأما قراءة ﴿جاءانا﴾ بالتثنية فصرَّحت بمجيء الاثنين معاً في سلسلةٍ واحدةٍ الكافر وقرينه الشيطان، فأوضحت ما أبهمته القراءة الأولى[3].

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: ٣٦].

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿عِبَادَهُ﴾ بألفٍ على الجمع.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿عَبۡدَهُۥۖ﴾ بغير ألف على التوحيد[4].

---

(١) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٥٩).
(٢) انظر: مجمع البيان للطبرسي مجلد ٥ (٢٥/٨٦).
(٣) انظر: التحرير والتنوير مجلد ١٢ (٢٥/٢١٣).
(٤) النشر في القراءات العشر (٢/٣٦٣).

المعنى اللغوي للقراءات:

العبدُ: هو الإنسان حرًا أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه جل وعز، ويقال: فلانٌ عبدٌ بيّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[1].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق الرّد على كفار قريش عند تهديدهم النبي ﷺ بآلهتهم أنها ستصيبه بسوءٍ كما يزعمون بسبب سبّه آلهتهم وتعييبها، فيخبر الله تعالى فيها رسوله محمداً ﷺ أنه حاميه وكافيه من كل سوءٍ وشرٍ وحافظه من كل أذًى وبأسٍ فلا معنى لتهديدهم وتخويفهم رسول الله ﷺ لأنَّ هذا التخويف والتهديد في غير محله وهو محض كذبٍ وافتراءٍ وادعاءٍ باطلٍ لا أساس له من الصحة لأنَّ هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع. والهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ للتقرير بمعنى: أليس الله كافياً عبده ورسوله محمداً ﷺ من شر من يريده بسوءٍ؟ وفي إضافته إليه تشريفٌ عظيمٌ لنبيه[2].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿عَبْدَهُۥ﴾ على التوحيد أن المراد بالخطاب هو سيدنا محمدٌ ﷺ بمعنى أليس الله بكافٍ عبده محمداً، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني: الأصنام.

وأمَّا قراءة: ﴿عِبَادَهُۥ﴾ على الجمع فإنَّها تفيد أن المراد بالخطاب هو جميع الأنبياء عليهم السلام ثم رجع إلى مخاطبةِ محمدٍ ﷺ فهو داخلٌ في الكفاية[3]، وأضاف القرطبي على ذلك أن المؤمنين يدخلون في الخطاب

(١) انظر: لسان العرب (٢/٢٧١).
(٢) انظر: البحر المحيط (٥/٧٠٧)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٢١٩).
(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٣٩).

أيضاً مع الأنبياء فقال: «وقرأ حمزة والكسائي: ﴿عِبَادَهُ﴾ وهم الأنبياء، أو الأنبياء والمؤمنون بهم»[1].

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن: أنَّ الله ﷻ تكفل دائماً بحماية وحفظ عباده المؤمنين جميعاً بدءاً بالأنبياء كلهم ومن بعدهم ممن آمنوا معهم وأطاعوهم إلى يوم الدين وعلى هذا يكون الخطاب شمل جميع المؤمنين أيضاً بما فيهم سيدنا محمداً ﷺ والأنبياء قبله.

❑ سادساً: اختلاف القراءات بالحركة غير الإعرابية:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: ٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ بفتح الياء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ بضم الياء[2].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية والرشاد، ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً[3].

التفسير:

يخبر المولى ﷻ في هذه الآية عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه شدةٌ من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ، تضرع إلى ربه بالدعاء في إزالة تلك الشدة، مقبلاً إليه مخبتاً مطيعاً، ثم إذا أعطاه وملَّكه نعمةً منه، وفرَّج عنه كربته نسي

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢١٩).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٨٠، حجة القراءات ص٦١٩.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٩.

هذا الإنسان ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضرِّ عنه، وقيل: نسي الضرَّ الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرَّد وطغى، وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله وطاعته[1]. وفي قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أمرٌ من الله بالتهديد لهذا الإنسان الكافر، أي: تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية وتلذذ فيها، وأنت على كفرك، عمراً قليلاً فإن مصيرك إلى نار جهنم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿ليَضلَّ﴾ بالفتح أنه بسبب اتخاذه أنداداً لله فقد ضلّ هو عن سبيل الله أو ازداد ضلالاً إلى ضلاله، قال الزمخشري: «وقرئ ﴿ليَضِل﴾ بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أنداداً ضلالُه عن سبيل الله أو إضلاله»[2].

وأما قراءة ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بالضم: تفيد أنه جعل لله أنداداً أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها ليُضِلَّ الناس عن طريق الله تعالى، قال أبو حيان: «وقرأ الجمهور ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بضم الياء، أي: ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل»[3].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا أنَّ هذا الكافر الذي أشرك بالله تعالى وجعل له أمثالاً وأشباهاً قد ضل عن سبيل الله تعالى ولم يكتف بضلال نفسه هو، إنما تعدى ذلك إلى إضلال الناس وصدهم عن سبيل الله تعالى وطاعته إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك الإثم والضلال، فيزداد بذلك إثماً على إثمه، وضلالاً على ضلاله.

٢ ـ قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾﴾ [الدخان: ٤٧].

---

(١) انظر: فتح القدير (٦٣٥/٤).

(٢) الكشاف للزمخشري (٣٨٩/٢)، انظر: روح المعاني (٢٤٥/٢٣).

(٣) البحر المحيط (٤٠١/٧).

القراءات:

١ ـ قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب: ﴿فَاعْتُلُوهُ﴾ بضم التاء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

العُتْلُ: الأخذ بمجامع الشيء وجرُّه بقهرٍ، والعَتْل: الدفع والإرهاق بالسَّوق العنيف، والعُتُلُّ هو: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، يقال: عَتلَه يَعْتِله، ويَعْتُله عَتْلاً، أي: جَرَّه جَرًّا عنيفاً، وجذبه فحمله[٢].

التفسير:

في سياق الحديث عن وعيد الله تعالى للكافرين الجاحدين، وما يتعرضون له من عذابٍ شديدٍ مُذِلٍّ ومُهينٍ يوم القيامة، تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن مشهدٍ آخر من مشاهد العذاب والإذلال يتعرض له هؤلاء الكفار المجرمون على أيدي ملائكة العذاب فيقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ [الدخان: ٤٧، ٤٨] والمعنى: أي: «يقال لزبانية جهنَّم: خذوه فجرُّوه جرًّا بعنفٍ وشدةٍ، خذوه فجُرُّوه إلى وسط جهنم، ثم صُبُّوا فوق رأسِه عذاباً وهو الحميم»[٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لغويةٌ ومعناهما واحدٌ، قال السمرقندي: «قرأ نافعٌ، وابن كثير، وابن عامرٍ: ﴿فاعتلوه﴾

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٧١)، تحبير التيسير ص٢٠٥.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٥٤٦، لسان العرب (١١/٤٢٣).

(٣) التفسير الواضح (٣/٦٩).

بضم التاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، معناهما واحدٌ، يعني: امضوا به بالعنف والشِّدة»[1].

إلاَّ أنَّ قراءة الضمِّ لها دلالة المبالغة والشدة في جرِّ الكفَّار إلى العذاب وتعنيفهم أكثر منه في قراءة الكسر، لأنَّ الضمَّ أقوى الحركات مما يدل على ثقل حالة الفعل الحاصل للكفَّار من جرٍّ إلى نار جهنَّم، وقراءة الكسر تدل أيضاً على شدة جرِّ الكفار وتعنيفهم، إلاَّ أنَّ قراءة الضم أشدُّ وأبلغ وأعنف. قال البقاعي: «﴿فاعتُلوه﴾ أي: جرُّوه بقهرٍ وعنفٍ وسرعةٍ إلى العذاب، والإهانة بحيث يكون كأنَّه محمولٌ، وقال الرازي في اللَّوامع: والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجرُّه، وقراءة الضمِّ أدلُّ على تناهي الغلظة، والشدة من قراءة الكسر»[2].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح أنَّ الكفار والمكذبين يُجَرُّون جميعهم إلى نار جهنم بعنفٍ وشدةٍ وإذلالٍ، إلاَّ أنَّ درجة العنف والشدة في تعامل الملائكة للكفار تتفاوت بما يتناسب ودرجة كفرهم وتكذيبهم وعداوتهم للمسلمين، فهي مع أرباب الكفر وزعمائه أشدُّ وأعنف وأبلغ من عامَّة المكذبين والكافرين، فكلَّما زادت درجة الكفر والتكذيب والعداء كلَّما اشتد الإذلال والقهر والإهانة لهم، والله أعلم.

❑ سابعاً: اختلاف القراءات بالحركة الإعرابية:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ١٠].

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٣/٢٢٠).
(٢) نظم الدرر (٧/٨٢).

القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر: ﴿سواءٌ﴾ بالرفع.

٢ ـ قرأ يعقوب: ﴿سواءِ﴾ بالخفض.

٣ ـ قرأ الباقون: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

«المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل، يقال: هذا ثوبٌ مساوٍ لذاك الثوب، أي: مستوٍ طوله وعرضه وطبقاته، والسواء: العدل، وساواه: ماثله وعادله»[٢].

التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لآيةٍ سبقتها فيها الإنكار الشديد من رب العزة سبحانه وتعالى على أولئك المشركين الذين عبدوا معه غيره وساووا بينه وبين ما يعبدون من أصنام لا تضر ولا تنفع، وهو الخالق المبدع لكلِّ شيءٍ، بيده الأمر كله، المقتدر على كل شيء، فيعرض المولى ﷻ في هذه الآية الدلائل القاطعات الواضحات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وتفرده بالألوهية، فيقول: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ «أي: جعلها مباركةً قابلةً للخير والبذر والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق، والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة لهذا قال: ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾»[٣] «أي: مستوية كاملة من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ للسائلين عن مدة خلق

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٦٦).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٤٣٩، المعجم الوسيط ص٤٩٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٩٥).

الأرض، وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فإن كلًّا يطلب القوت، ويسأله»[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءةٍ من القراءات الثلاث أفادت معنىً آخر مغايراً لمعنى القراءة الأخرى: فقراءة: ﴿سواءٍ﴾ بالخفض أفادت أنها نعت لأربعة أيام، فيكون المعنى: «في أربعة أيامٍ مستويات تامَّاتٍ للسائلين»[2].

وأمَّا قراءة ﴿سواءٌ﴾ بالضم أفادت «أنها خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي سواء»[3]. وجاء في مفاتيح الأغاني: «من رفع فعلى معنى: هي سواءٌ للسائلين، وقال السدِّي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟»[4].

وأمَّا قراءة ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب، أفادت أنَّها حال من ضمير ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أو من ﴿أَيَّامٍ﴾ أو بالنصب على المصدر فيكون المعنى: استوت سواءً واستواء»[5].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر من المعنى: أنَّ الله تعالى، قدَّر فيها أقواتها سواءً، أي: كاملةً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولِمن سأل عن

---

(١) مجمع البيان مجلد ٥ (٧/٢٥).

(٢) نظم الدرر (٥٦٦/٦)، انظر: زاد المسير لابن الجوزي ص١٢٥٣، معالم التنزيل للبغوي (٩٦/٤).

(٣) المستنير في تخريج القراءات المتواترة (٢٤/٣).

(٤) مفاتيح الأغاني لأبي العلاء الكرمي ص٣٦١.

(٥) انظر: مجمع البيان مجلد ٥ (٧/٢٥).

الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيام، كاملةٍ تامةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

٢ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الأحقاف: ١٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب: ﴿خَوْفَ﴾ بالفتح بدون تنوين.

٢ ـ قرأ الباقون: ﴿خَوْفٌ﴾ بالضم مع التنوين[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

الخوف: الفزع، وهو: انفعالٌ في النَّفس يحدث لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب، والخوفُ أيضاً بمعنى: القتل، ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ [البقرة: ١٥٥][٢].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن حال المؤمنين الأخلاء المتحابِّين في الله يوم القيامة وخطاب الله تعالى المؤمنين تطميناً وتأنيساً لهم بنفي الخوف والحزن عنهم، فيقول: «يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم من عقابي فإنِّي قد أمنتكم منه برضاي عنكم، ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا، فإنَّ الذي قدمتم عليه خيرٌ لكم ممَّا فارقتموه منها»[٣].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة: ﴿لا خوفَ﴾ بالفتح دون تنوين تفيد نفي جنس الخوف مطلقاً عن

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٩٧، الشامل في القراءات المتواترة ص٢٥٢.

(٢) انظر: القاموس المحيط ص٧٢٨، المعجم الوسيط ص٢٨٦.

(٣) جامع البيان مجلد ١١ (٢٥/٥٧).

المؤمنين بأيِّ حال من الأحوال، وبأيِّ وجهٍ من الوجوه بأن يقع بهم أي مكروهٍ أو عقابٍ من الله تعالى على غرار أهل الضلال في الآخرة، «لأنَّ (لا) إذا دخلت على النكرة دلت على نفي الجنس، وأنَّها إذا بُني الاسم بعدها على الفتح كان نفي الجنس نصاً، وإذا لم يبنَ الاسم على الفتح كان نفي الجنس ظاهراً مع احتمال أن يُراد نفي واحدٍ من ذلك الجنس إذا كان المقام صالحاً لهذا الاحتمال»[(١)]. وفي هذه القراءة (لا) نافية للجنس فهي تعمل عمل (إنَّ) من نصب المبتدأ ورفع الخبر، وهي تفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نصاً، أي نفياً عامًّا على سبيل الاستغراق، لا على سبيل الاحتمال[(٢)].

وأمَّا قراءة ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ بالضَّم مع التنوين فقد تفيد نفي الخوف الواحد، أو نفي المجموع عنهم احتمالاً لا نصاً، لأنَّ (لا) في هذه القراءة لا النافية العاملة عمل ليس، فهي تعمل عمل الأفعال الناسخة، واسمها (خوفٌ) نكرة مرفوعٌ، وهذا شرطٌ لعملها عمل ليس، وهي تفيد احتمال نفي الواحد أو نفي الجنس[(٣)].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين تكون القراءة الأولى بالفتح مبينة للقراءة الثانية بالضَّم: أنَّ الله تعالى نفى مطلق الخوف عن المؤمنين، الواحد والمجموع، في الحال وفي المستقبل، فلا خوفٌ عليهم في أيِّ حالٍ من الأحوال وبأيِّ وجهٍ من الوجوه وفي أيِّ وقتٍ من الأوقات.

ثامناً: اختلاف القراءات بالتأنيث والتذكير:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥٢].

---

(١) التحرير والتنوير مجلد ٦ (٢١٦/١١)، عند تفسيره للآية (٦٢) من سورة يونس.

(٢) انظر: موسوعة الحروف في اللغة العربية للدكتور إميل يعقوب ص٣٨٤.

(٣) انظر: شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبدالحميد مجلد ١ (٥/٢).

القراءات:

١ ـ قرأ نافع والكوفيون[١] ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء على التذكير.

٢ ـ قرأ الباقون: ﴿يوم لا تَنْفَعُ﴾ بالتاء على التأنيث[٢].

المعنى اللغوي للقراءات:

«النفع ضد الضر، يقال: نفعته بكذا فانتفع به، والاسم المنفعة»[٣].
والنفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير، فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر[٤].

التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ الكفار لن ينفعهم معذرةٌ ولا توبةٌ يوم القيامة ولهم اللَّعنة بالطرد من رحمة الله تعالى، ودوام العذاب في أسوأ مكانٍ وهي النار. يقول ابن جرير: «يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل. وذلك، أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]»[٥].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قُرئ ﴿يَنفَعُ﴾ بالتذكير والتأنيث لأن الفاعل ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ مؤنث غير

---

(١) الكوفيون، (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٦٥)، وتحبير التيسير ص١٩٩.
(٣) الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري (٣/١٢١٧).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٨١٦.
(٥) جامع البيان مجلد (١٢/٢٤/٤٩).

حقيقي، قال ابن خالويه: «يقرأ بالتاء دلالة على تأنيث المعذرة، وبالياء للحائل بين الفعل والاسم، أو لأن تأنيث الاسم ليس بحقيقي»[(١)]. واعتبر ابن جريرٍ أنَّ القراءتين بمعنًى واحدٍ فقال: «والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان، بمعنًى واحدٍ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»[(٢)].

ويرى الباحثان أنَّه لا بدَّ من تسليط الضوء على دلالة كلِّ قراءةٍ في سياق الآية وأثرها على المعنى، فالقاعدة اللغوية تجيز تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقي، ولكن لا بد من البحث عن حكمة التذكير في قراءة، والتأنيث في قراءة أخرى، فكل قراءة لها دلالتها على المعنى.

في قراءة ﴿تنفعهم﴾ بتاء التأنيث كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على المعذرة نفسها، بحيث لن تنفع المعذرة لأنَّها لم تقع، فتفيد نفي المنفعة والمعذرة، على معنى: لا تقع المعذرة من الظالمين فتنفعهم.

وأمَّا في قراءة ﴿ينفعهم﴾ بالتذكير كان تسليط الضوء في نفي المنفعة على الظالمين، بحيث لا يُقْبَل من الظالمين اعتذارٌ فينفعهم، فتفيد وقوع المعذرة من الظالمين وإن كانت قليلة، ولكن لا تنفعهم معذرتهم بسبب ظلمهم، ولأنَّ المعذرة تكون باطلةً، ولا يجدون دفاعاً عن أنفسهم إلا بها. قال الألوسي: «(لا)، قيل: تحتمل أن تكون لنفي النفع فقط على معنى: أنَّهم يعتذرون ولا ينفعهم معذرتهم لبطلانها، وتحتمل أن تكون لنفي النفع والمعذرة، على معنى: لا تقع معذرة لتنفع»[(٣)].

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن من المعنى: نفي النَّفع مطلقاً للظالمين على معذرتهم سواء اعتذروا أو لم يعتذروا، وإن وقعت المعذرة فهي باطلة.

---

(١) الحجة في القراءات للإمام ابن خالويه ص٣١٧.

(٢) جامع البيان مجلد ١١ (٤٩/٢٤).

(٣) روح المعاني (٧٧/٢٤). انظر: الكشاف (٤٣٢/٣).

تاسعاً: اختلاف القراءات بالتشديد والتخفيف:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب وخلف: ﴿يُنْزِل﴾ بالتخفيف.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

النزول: هو الانحطاط من علوٍّ، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، أي: حط رحله فيه[٢]، وجاء في لسان العرب، النزول: الحلول، ونزل من علوٍّ إلى أسفل: انحدر، ونزَّله وأنزله بمعنًى، ولا فرق بين نزَّلت وأنزلت إلا صيغة التكثير[٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن فضل الله تعالى على عباده ورحمته بهم بإنزال المطر النافع عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه بعدما يئسوا من نزوله، وفي الآية تعدادٌ لنعم الله تعالى وتذكير بها، ليستدعي ذلك شكر الله تعالى وحمده على جميع أفعاله، قال الطبرسي: «﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾، أي: ينزله عليهم من بعد ما يئسوا من نزوله، والغيث ما كان نافعاً في وقته، والمطر قد يكون نافعاً، وقد يكون ضارًّا في وقته وغير

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٢.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٩٩.
(٣) انظر: لسان العرب (٦٥٦/١١).

وقته، ووجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتي به، وتعظيمه، والمعرفة بموقع إحسانه، ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ أي: ويفرق نعمته ويبسطها بإخراج النبات، والثمار التي يكون سببها المطر ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى تدبير عباده وتقدير أمورهم، ومصالحهم المالك لهم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحساناً ومنافع»[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة ﴿يُنْزِل﴾ بالتخفيف أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بعد ما يئسوا من نزوله رحمته بالناس، والفعل (يُنْزِل) من الإنزال يفيد وقوع الحدث مرة واحدة ويحتمل الزيادة[2].

أمَّا قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد تفيد أنَّ الله تعالى ينزل عليهم ما يغيثهم من مطر بشكل دائم ومتكررٍ، فقراءة التشديد تفيد التدرج والتكرار والتكثير، ويحتمل أنَّ قراءة التشديد تفيد أهميةَ الغيث الذي ينزل في ذلك الوقت لحاجتهم وفقرهم إليه بعد ما يئسوا من نزوله، فقراءة التشديد تستعمل أحياناً فيما هو أهم وأبلغ[3].

الجمع بين القراءات:

قراءة ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد مبيِّنة لقراءة: ﴿يُنْزِل﴾ بالتخفيف، حيث إنَّ قراءة التخفيف أفادت أنَّ الله تعالى ينزل الغيث على الناس في وقت حاجتهم له رحمةً بهم ولينتفعوا به، أمَّا قراءة التشديد فقد أضافت معنى استمرار هذه النعمة وكثرتها وتكرارها على الدوام، وذلك تذكيراً بكمال النعمة عليهم ليستدعي ذلك زيادة شكر المنعم وحمده.

---

(١) مجمع البيان مجلد ٥ (٥٤/٢٤).

(٢) انظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني للسامرائي ص٦٠.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٦١.

عاشراً: اختلاف القراءات بالاسم والفعل:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب: ﴿يَقْدِرُ﴾ بالياء وسكون القاف.

٢ ـ قرأ الباقون: ﴿بِقَادِرٍ﴾ بالباء والألف[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

القادر والقدير: من صفات الله تعالى يكونان من القُدْرَة، ويكونان من التقدير، والقادر: اسم فاعلٍ من قدَرَ يَقْدِرُ، والقدير فعيل منه وهو للمبالغة[٢]. «والقدرة: إذا وصف بها الإنسان، فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيءٍ ما، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفيُ العجز عنه»[٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن دليل قدرة الله تعالى على البعث والنشور، والإحياء بعد الإماتة ردًّا على الكفَّار المنكرين لحقيقة البعث يوم القيامة المستبعدين قيام الأجساد يوم المعاد، مع الاستدلال على ذلك بدليل قدرته الواسعة على خلق السمٰوات والأرض، وما فيها بأيسر ما يمكن دون جهدٍ أو تعبٍ، ولم يكرثه خلقهن، بل قال لها: كوني، فكانت بلا ممانعةٍ ولا مخالفةٍ، فمن يكون هذا شأنه، أفليس بقادرٍ على أن يحيي الموتى؟[٤].

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٥٠٥، المبسوط في القراءات العشر ص٢٤٩.

(٢) انظر: لسان العرب (٧٤/٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٤).

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿بِقَدِرٍ﴾ بصيغة اسم الفاعل تدل على ثبوت ودوام صفة القدرة لله تعالى التي لا تساويها قدرةٌ في الماضي والحال، مع التأكيد على نفي ادعائهم وإنكارهم لحقيقة البعث والذي يدل عليه حرف الجر الَّذي سبق الاسم (بِقَادِرٍ)، قال البقاعي: «وأكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز (أن) فقال تعالى: ﴿بِقَدِرٍ﴾ أي: قدرةً عظيمةً تامَّةً بليغةً»[1]. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]: «وأثبت الجار تحقيقاً للأمر، وتأكيداً للتقرير فقال: ﴿بِقَدِرٍ﴾ أي: بثابتٍ له قدرةٌ لا يساويها قدرةٌ»[2].

وأمَّا قراءة ﴿يَقْدِرُ﴾ بصيغة الفعل المضارع فإنها تفيد استمرار وتجدد القدرة لله تعالى على الإحياء بعد الإماتة في الحال والمستقبل، حيث إنَّ الفعل المضارع يفيد وقوع الحدث في الحال والاستقبال، كما يفيد الاستمرار التجددي والتكرار[3]، وفي ذلك نفي العجز عن الله تعالى من كلِّ وجهٍ وفي كلِّ وقتٍ، كما أنَّ هذه القراءة فيها مزيد بيانٍ لقدرة الله تعالى، وزيادة استدلالٍ على البعث.

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الآية فيها تأكيدٌ على كمال قدرة الله تعالى الواسعة في كل وقتٍ في الماضي والحال والمستقبل على الإحياء وغير ذلك مما تقتضيه حكمة الله تعالى، مع التأكيد على نفي إنكار الكفَّار لحقيقة البعث، وفي ذلك زيادة توبيخٍ وتقريعٍ

(١) نظم الدرر (١٤٤/٧).
(٢) المصدر السابق (٢٨٧/٦) عند تفسيره للآية (٨١) من سورة يس.
(٣) انظر: معاني النحو للدكتور فاضل السَّامرَّائي (٢٨٧/٣ ـ ٢٨٨).

للمشركين على جهلهم وانطماس بصائرهم حيث لم يعرفوا أنَّ الله تعالى الذي له هذه القدرة المطلقة الواسعة قادرٌ على أنْ يعيدهم إلى الحياة بعد موتهم[1].

حادي عشر: اختلاف القراءات بالتقديم والتأخير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾ ببناء الأول للمفعول والثاني للفاعل.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول[2].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْلِ: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبِرَ بفعل المُتَوَلِّي لذلك يُقال: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوت الحياةِ يُقال: مَوْتٌ[3].

التفسير:

يخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه اشترى أموال المؤمنين وأنفسهم بالجنَّة ثمناً لما بذلوه، ترغيباً لهم في الجهاد، وبياناً لفضيلته إثر بيان حال

---

(١) انظر: التفسير الوسيط مجلد ١٣ (٢٦/٥٠).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٣٠٧.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص٧٠٠.

المتخلفين عنه، ومثَّل الله تعالى إثابة المجاهدين بالجنَّة على بذلهم أنفسهم، وأموالهم في سبيل الله بالشراء تعظيماً لحال المؤمنين وثوابهم، ليبيِّن أنَّ الثمن أغلى من المبيع، ثمَّ يبيِّن الله تعالى هذا البيع الذي يقتضيه الاشتراء المذكور بأن يقاتلوا في سبيل الله تعالى، فيقدمون على قتل الكفار في الحرب، ويبذلون أنفسهم في ذلك، فإن فعلوا فقد استحقوا ما وعدهم الله تعالى بالجنَّة وإن لم يقع عليهم القتل، وقد أثبت الله تعالى هذا الوعدَ الحقَّ في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن، وزيادةً في الترغيب والبشرى لهم يطالبهم الله أن يظهروا السرور والبشارة بهذه المبايعة التي فيها الربح والفوز العظيم[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة ﴿فيُقتَلُون ويَقْتُلُون﴾ بتقديم الفعل المبني للمفعول على الفعل المبني للفاعل، فيها إشارة إلى أن حرص هؤلاء المؤمنين الصادقين على الاستشهاد أشد من حرصهم على النجاة من القتل؛ لأنَّ هذا الاستشهاد يوصلهم إلى الجنَّة[2]، وفي ذلك مزيد مدح لهم، «لأنَّ من طلب الموت لا يقف له خصمه، فيكون المعنى: فطلَبوا أن يكونوا مقتولين فقتلوا أقرانهم»[3]. وفي القراءة أيضاً اهتمامٌ بسبب الشهادة التي هي أدخل في استحقاق الجنة[4].

وأمَّا قراءة ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ ببناء الأول للفاعل والثاني للمفعول فيبدؤون بالفاعلين قبل المفعولين، وحجتهم في ذلك أن الله وصفهم بأنهم قاتلوا أحياء ثم قتلوا بعد أن قاتلوا وإذا أخبر عنهم وبدأ بأنهم قد قُتِلوا

(١) انظر: فتح القدير (٢/٥٧١ ـ ٥٧٢).
(٢) انظر: التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (٦/٣٠٥).
(٣) نظم الدرر (٣/٣٨٩).
(٤) انظر: التحرير والتنوير مجلد ٦ (١١/٣٩).

فمحال أن يَقْتلوا بعد هلاكهم هذا ما يوجبه ظاهر الكلام[1]، وفي هذه القراءة اهتمامٌ بجهاد المسلمين بقتل أعدائهم، للدلالة على شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم.

الجمع بين القراءات:

القراءتان معاً تصفان حال هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين يقاتلون في سبيل الله تعالى بأن حرصهم على الاستشهاد أشدُّ من حرصهم على النجاة من القتل، مع شدة حرصهم على قتل أعدائهم وبذل أنفسهم في سبيل الله. كما أنَّه لا يشترط الجمع بين الفعلين ـ قَتْلُ الأعداء والشهادة ـ للفوز بوعد الله تعالى، بل يتحقق بمجرد المشاركة في قتال الأعداء في سبيله سبحانه وتعالى سواء وقع أحد الفعلين منهم أو من بعضهم، أو لم يقع منهم أحدهما أيضاً، وكذلك يتحقق بمجرد عزيمة الجهاد والنفير وتكثير سواد المسلمين، والله تعالى أعلم.

❑ ثاني عشر: اختلاف القراءات بتصريف الأفعال من ماضٍ ومستقبلٍ وأمرٍ:

قال تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٩].

القراءات:

٣ ـ قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمروٍ وهشامٌ: ﴿ربَّنا بَعِّدْ﴾ بنصب ربَّنا على النداء، وبَعِّدْ بكسر العين المشددة بلا ألف وإسكان الدال.

(١) انظر: حجة القراءات ص٣٢٥، إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (٢٥٦/١).

٤ ـ قرأ يعقوب: ﴿ربُّنا بَاعَدَ﴾ بضم باء ربُّنا، وبَاعَدَ بالألف وفتح العين والدال.

٥ ـ قرأ الباقون ﴿رَبَّنَا بَعِّدْ﴾؛ بنصب ربَّنا وبَاعِدْ بالألف وكسر العين وإسكان الدال[١].

المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلاَّ بالإضافة، ويُقال: لكلِّ من مَلَك شيئاً هو ربُّه، والرَّبُّ في اللغة يطلق على المالك، والسَّيِّد، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم[٢].

٢ ـ البُعد: اتساع المدى، والبعيد: المتنائي، وفي الدعاء: (بُعْداً له)، أي: هلاكاً له، ويُقال: (أبعَدَهُ الله)، أي: نحَّاه عن الخير ولعنهُ[٣].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قوم سبأٍ إذ أنعم الله تعالى عليهم بنعم جليلةٍ عظيمةٍ، ومن ضمنها أنه جعل بينهم في اليمن وبين قرى الشام التيِّ بارك فيها بالماء والشجر قرىً متواصلةً يُرى بعضها من بعضٍ لتقاربها ظاهرةً لأبناء السبيل، وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام، وجعل السير من القرية إلى القرية مقداراً واحداً نصف يوم، ومكَّنهم من السير فيها متى شاؤوا ليلاً ونهاراً آمنين من الجوع والعطش والتعب ومن الأعداء لا يخافون شيئاً. فبطروا هذه النِّعمة وسئموا أطيب العيش، وملُّوا العافية، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام فلوات

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٥٩.
(٢) انظر: لسان العرب (٣٩٩/١)، مفردات ألفاظ القرآن ص٣٣٦.
(٣) انظر: القاموس المحيط ص٢٤٣، المعجم الوسيط ص٨٣.

ومفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا للأسفار، فأجابهم الله إلى ذلك بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفاراً وذهب بما فيها من الخير، والماء، والشجر، وفرَّقهم في كل وجهٍ من البلاد[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة ﴿رَبَّنَا بَعِدَ﴾ بنصب (ربَّنا) على النِّداء، و(بَاعِدْ) بكسر العين وإسكان الدال، أنَّهم ذكروا ذلك على وجه الدعاء والمسألة والطلب، فطلبوا من ربِّهم أنْ يبعد بين أسفارهم بطراً وأشراً، وأن يطيل ذلك البعد، بدلالة الألف في (باعد) المقتضية للمد والتطويل[2].

وأمَّا قراءة: ﴿ربَّنا بَعِّدْ﴾ بنصب ربَّنا على النداء، وبَعِّدْ بكسر العين المشددة وإسكان الدال، فإنَّها تفيد أنَّهم ذكروا ذلك على وجه الدعاء أيضاً، إلاَّ أنَّ الشَّدَّة تفيد التكرار والتشديد في الطلب، كأن يقول بعِّد بعِّد[3]، أي: أعظم البعد وشدِّدْهُ[4]، وفي ذلك دلالة على شدَّة بطرهم لتلك النِّعمة وملاحَّتهم على الله بإزالتها.

وأمَّا قراءة: ﴿ربُّنا بَاعَدَ﴾ بضم باء ربُّنا، على أنّه مبتدأ و(بَاعَدَ) فعلاً ماضياً على أنَّ الجملة خبر المبتدأ، فتفيد أنَّ الكلام إخبارٌ من الله تعالى عنهم، أنَّهم شَكُوا بُعْدَ أسفارِهم مع قربها وسهولة سلوكها وصلتها بالقرى، ورأوا أنَّ ذلك غير مقنعٍ لهم، إفراطاً في الترفُّه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم[5].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٥٧٣ ـ ٥٧٤)، فتح القدير (٤/٤٥٣).
(٢) انظر: نظم الدرر (٦/١٧٢).
(٣) انظر: جامع البيان للطبري مجلد ١٠ (٢٢/٥٨).
(٤) انظر: نظم الدرر (٦/١٧٢).
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر ص٤٥٩، فتح القدير (٤/٤٥٣).

الجمع بين القراءات:

القراءات الثلاث تصف أحوال هؤلاء القوم وحقيقة بطرهم قبل أن يحلَّ بهم خراب بلادهم، وذهاب خيراتها، فمنهم: مَنْ بَطِرَ النعمة وملَّ العافية، فطلبوا أن يباعد الله بين أسفارهم، ومنهم: من شدَّدَ في الطلب بأن يعظم الله البعد ويشدِّدُهُ عليهم إمعاناً في بطر النعمة وإنكارها، ومنهم: من شَكَى بُعْدَ السفر بين القرى مع قربها وسهولة سلوكها، إفراطاً في الترفُّه وبطراً وكفراً للنعمة. فهم في كلِّ حالٍ بطرون أشرون منكرون نعم الله تعالى.

الخاتمة

بحمد الله تعالى ومنته وتوفيقه أتممنا هذا البحث بما يسره الله تعالى لنا من جمعٍ وترتيبٍ وتحليلٍ فيما يتعلق بالقراءات القرآنية وأثرها في التفسير، وذلك من خلال إيضاح مفهوم القراءات، ونشأتها، وأسباب اختلاف القراء فيها، وأركانها المقبولة وفق الشروط التي اعتمدها علماء القراءات في قبول القراءة أو ردها، وأثرها في تفسير كتاب الله تعالى، وقد عني البحث بالجانب التطبيقي، حيث تضمن دراسة نماذج متنوعة لأوجه القراءات العشر المختلفة، ومن ثم انتهى هذا البحث إلى نتائج وتوصيات متعددة، ومن أهمها:

نتائج البحث:

١ ـ علم القراءات القرآنية من العلوم المهمة التي لا بد لمن يشتغل في علم التفسير أن يتعلمها وأن يكون على درايةٍ بها، لما لها من أثرٍ بالغ في بيان مراد الله تعالى.

٢ ـ القراءات القرآنية العشر جميعها وحيٌ من الله تعالى، وهي من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، ولا مجال للاجتهاد فيها، ولا يجوز لأحدٍ أن يردَّ قراءةً ثبت تواترها واشتملت على شروط الصحة، وقد جانب الصواب من ردَّ قراءةً متواترةً أو فاضل بينها.

٣ ـ لا يعتدُّ بإنكار أهل النحو واللغة لبعض القراءات المتواترة لمخالفتها بعض أصول النحو وأقيسة اللغة عندهم، فالقراءات أصلٌ للنَّحو واللغة وليس العكس.

٤ ـ القراءات القرآنية لونٌ من ألوان الإعجاز القرآني حيث إنَّ كلَّ قراءةٍ سدَّت مسدَّ آيةٍ، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة والإعجاز.

٥ ـ الاختلاف الحاصل بين القراءات القرآنية هو اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ في المعنى وليس اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد.

٦ ـ تتعدد آثار القراءات على التفسير من ناحية البلاغة والبيان والفقه والنحو وغير ذلك.

٧ ـ ليس كل قراءةٍ لها أثرٌ واضحٌ في التفسير، فإن من القراءات ما كان للتيسير على الأمة ورفع للحرج عنها، ومنها ما كان يتعلق في التفسير وبيان مقاصد الله تعالى.

٨ ـ كثيرٌ من القراءات التي اعتبرها علماء التفسير أنَّها من قبيل اللغات، لها أثرٌ كبيرٌ على التفسير، وأضافت معانٍ جديدةٍ ما كانت لتتضح إلاَّ بها.

التوصيات:

١ ـ نوصي طلبة العلوم الشرعية بالإقبال على تعلم القراءات القرآنية والاهتمام بها تعلماً وقراءةً والاستفادة منها في استنباط المعاني والتوصل إلى مراد الله تعالى.

٢ ـ نوصي أهل الاختصاص في علم القراءات والتفسير بإقامة دورات في القراءات القرآنية وأثرها في التفسير والأحكام.

٣ ـ نوصي المختصين والباحثين بمزيد اهتمام بالبحث عن أسرار تعدد القراءات القرآنية وأثرها في التفسير، وخاصة تلك التي لم يتطرق إليها الباحثون سواء في الأصول أو في الفرش، فلعل الباحث يقف على جوانب ومعانٍ جديدةٍ لم يتوصل إليها من سبقه في هذا المجال، فيكون قد خدم المسلمين خدمةً عظيمةً في مجال تفسير كتاب الله تعالى.

وفي الختام، نحمد الله تعالى أن وفقنا لإتمام هذا البحث سائلين إياه أن يغفر لنا زلاتنا وأخطاءنا وأن ينفعنا والمسلمين به، وصلِّ اللَّهمَّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، للدكتورة نجاة عبدالعظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي، الشهير بالبنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، لحسن ضياء الدين عتر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- الاختلاف بين القراءات، لأحمد البيلي، دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الاختلاف في القراءات القرآنية وأثره في اتساع المعاني، لإياد السامرائي (شبكة المعلومات الدولية، شبكة التفسير والدراسات القرآنية http://www.tafsir.net).
- إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني الشافعي، تحقيق: د. عبدالرحمٰن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ـ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، للشيخ عبدالفتاح عبدالغني القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢: ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م.

- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، للإمام محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري المتوفى سنة ٨٣٢هـ ـ دار الصحابة للتراث، ٢٠٠٤م.
- التعبير القرآني، للدكتور فاضل صالح السامرائي، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٩م.
- تفسير البيضاوي، المسمَّى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للإمام ناصر الدين أبي سعد عبدالله بن أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- تفسير التحرير والتنوير، للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سُحُنون للنشر والتوزيع، تونس.
- تفسير السمرقندي، المسمَّى بحر العلوم، لأبي الليث ناصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، المتوفى سنة ٣٧٥هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ : ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي: أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ ـ دار الحديث، القاهرة، ط١ : ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تفسير المراغي، للأستاذ أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم، دار الفكر، بدون تاريخ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢ : ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- التفسير الواضح، للدكتور: محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، الزقازيق، ط١٠، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد السيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- تفسير زاد المسير في علم التفسير، لعبدالرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧، تحقيق: زهير الشاويش، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط١ جديدة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ـ دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٣ : ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- حجة القراءات، للإمام أبي زرعة عبدالرحمٰن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق وشرح: الدكتور عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي، المتوفى سنة ٣٧٧هـ ـ منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الشامل في القراءات المتواترة، للدكتور محمد حبش، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، طبعة جديدة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الحنفي المتوفى سنة ٢٥٦هـ ـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان، ط٣: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ ـ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ ـ دار الحديث، القاهرة، ط٣: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ ـ تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥ : ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.
- اللباب في علوم الكتاب، للإمام أبي حفص عُمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ : ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.
- لسان العرب، للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري المتوفى سنة ٧١١ هـ ـ دار الفكر، بيروت.
- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر محمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١ هـ ـ دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ٢٠٠٣ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ : ١٩٩٣ م.
- المستنير في القراءات العشر، للإمام أبي ظاهر سوار المتوفى سنة ٤٩٦ هـ ـ علق عليه: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر.
- المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة، الإعراب، التفسير، للدكتور محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- معالم التنزيل المسمَّى بتفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي المتوفى سنة ٥١٠ هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ : ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.
- معاني الأبنية في العربية، لفاضل السامرائي، ط١ : ١٩٨١ م.
- معاني القراءات، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ـ تحقيق: د. عبد مصطفى درويش، د. عوض بن حمد القوزي.
- معاني القرآن، لأبي بكر زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ـ عالم الكتب، بيروت، ط٣: ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- معاني النحو، للدكتور فاضل السامرّائي، القاهرة، شركة العاتك، ط٢ : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

- **المعجم الوسيط**، للدكتور إبراهيم أنيس، وآخرون، بدون تاريخ.
- **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٣هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: طيار آلتي قولاج، ط١: إستانبول، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- **المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات**، للدكتور أحمد سعيد الخطيب (شبكة المعلومات الدولية، شبكة التفسير والدراسات القرآنية http://www.tafsir.net).
- **مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني**، لأبي العلاء الكرمي المتوفى سنة ٥٦٣هـ - دراسة وتحقيق: د. عبدالكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، للأستاذ الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **منهج الإمام الطبري في تفسيره (رسالة ماجستير)**، للدكتور عبدالرحمٰن يوسف الجمل بإشراف: د. فضل عباس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **موسوعة الحروف في اللغة العربية**، للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **النشر في القراءات العشر**، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.